MENA RESEARCH CENTER
مركز أبحاث ودراسات مينا

إرهاصات التأسيس لجماعة الإخوان المسلمين والآَباء المؤسسون لها في سوريا!

إعداد: أحمد الرمح

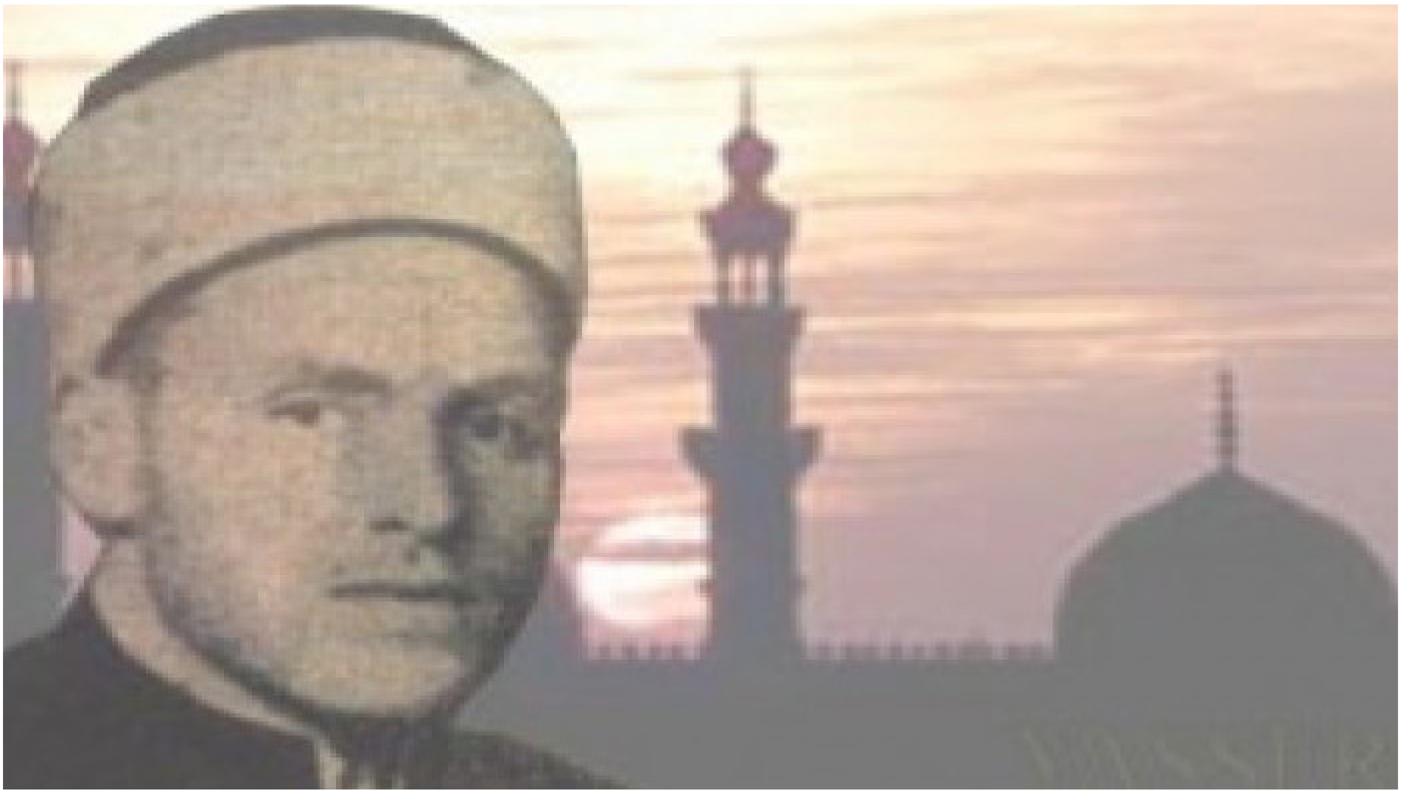

حقوق النشر والطبع ورقياً والكترونياً محفوظة لصالح مركز أبحاث ودراسات مينا.

الملخص التنفيذي:

ثمة مجموعة إرهاصات؛ ساهمت بشكل أو آخر بولادة جماعة الإخوان المسلمين في سوريا؛ منها الحراك السياسي في سنوات الانهيار الأخيرة للإمبراطورية العثمانية؛ واستغلال الحركة الإسلامية لسياسة الاستعمار الفرنسي بانحيازاته تجاه المكونات السورية الأخرى، إضافة للحداثة وتياراتها الليبرالية والعلمانية وحتى القومية منها، كل ذلك كان من الإرهاصات التي ساهمت بولادة جماعة الإخوان المسلمين في سوريا بشكل أو آخر، ويبقى تحالف الجمعيات والتيارات الإسلامية آنذاك له الدور الأكبر؛ دون أن ننسى الدور الذي ساهم فيه الطلاب السوريون الذي درسوا في مصر بتلك الولادة.

هذا كله ساهم بالولادة؛ التي نتحدث عنها من خلال المحاور التالية:

- **المدخل**
- **البيئة التي نشأت فيها جماعة الإخوان في سورية**
- **أسئلة حول النشوء الإخواني سورياً**
- **محاولة للأجوبة على تساؤلات النشوء الإخواني بسورية**
- **الحراك الإسلامي قبيل ولادة جماعة الإخوان المسلمين**
- **السلفية (النهضوية) والمدرسة الدينية التقليدية ودورهما في إرهاصات الولادة الإخوانية**
- **الخلاف الديني على الخلافة العثمانية ودوره بولادة جماعة الإخوان!**
- **الاستعمار الفرنسي وظهور الإسلاموية**
- **صراع العلمانية والقومية والدين ودوره في الولادة الإخوانية**
- **ولادة الإخوان المسلمون في سورية**
- **الآباء المؤسسون للفكر الإخواني بسورية**

المدخل

شكلت حركة الإخوان المسلمين السورية منذ لحظة تأسيسها وعلى امتداد تاريخها حتى اليوم، حالة إشكالية ليس بين الحركات الإسلامية التي تشكلت على امتداد تاريخ القرن الماضي فقط، بل أيضاً ضمن أحزاب الإخوان التي تشكلت في كل بلد من شرقنا البائس، سواء تحت الاسم الرسمي للإخوان كما هو الحال في سورية؛ أو تحت أسماء أخرى مثل حركة النهضة في تونس؛ وحزب الإصلاح في اليمن، حيث كان للحركة السورية محطة فاصلة ومتناقضة في آن معاً، بدءاً من دعوتها إلى «اشتراكية الإسلام» وفق ما كتب زعيمها «مصطفى السباعي» وهي الفترة الذهبية للحركة حيث شاركت بفعالية في الحياة السياسية والبرلمانية السوري، إلى جنوحها للعنف وقطعها الراديكالي مع مرحلة العمل السلمي، وهو الأمر الذي بدأ يتصاعد داخل أجنحة الحركة بدءاً من ستينيات القرن الماضي؛ ليصل ذروته في ثمانينات القرن نفسه وينتهي إلى المرحلة الثالثة التي حولتهم من حركة داخلية سورية إلى مجرد حركة في المنفى ضعيفة التأثير، إلى أن جاءت الثورة السورية عام ٢٠١١ ومنحتها بعض «إكسير الحياة؛ بدعم فاعل ومؤثر من دول لها أجندتها الخاصة في الملف السوري مثل قطر وتركيا.

البيئة التي نشأت فيها جماعة الإخوان في سوريا

كُتِب الكثير عن الحركة، إلا أن أغلب ما كُتب ركز على السياسي الآني؛ وعلى تطور الحركة بدءاً من ولادتها رسمياً إلى لحظة صدامها مع نظام الأسد ثمانينات القرن الماضي، وهي اللحظة/ المرحلة التي حظيت باهتمام بالغ ومبرر ومفهوم لما تركته تلك اللحظة، ليس في تاريخ سورية فحسب، بل في تاريخ التعاطي مع الحركات ذات الجذور الإسلاموية، خاصة بعد أن انفجر العنف المنسوب لها في كل اتجاه في العالم، إذ تبعتها العشرية السوداء في الجزائر، ثم الإرهاب القاعدي لندخل معه مرحلة جديدة، كتب عنها الكثير بدوره.

إلا أن ما يغيب عن إطار البحث، ويبدو لنا أنه يشكل فجوة معرفية في تاريخ البحث، ذلك الأمر الذي يتعلق بالبيئة التي نشأت فيها جماعة الإخوان أساساً، إذ يبدو أن ثمة أسئلة كثيرة غير مضاء عليها بعد؛ تنبثق هنا، منها:

أسئلة حول النشوء الإخواني سورياً

ما هي الروافد الفكرية التي نهل منها الإخوان؟ هل كانت حقاً مجرد صدى فكري وإيديولوجي للحركة الأم في مصر؟ أم أن لها جذورها المحلية الخاصة التي ساهمت في تأثيرها؟ من هي الطبقات والحركات والشخصيات التي كانت أول من تأثر بهذا الفكر؟ وهل هو فكر وافد بكليته أم أنه تلاقى مع الفكر المحلي الصاعد؟ وما هو المستوى الطبقي والاجتماعي للمؤسسين الأوائل والمنسبين الأوائل؟ وما هي دوافعهم للانتساب إلى هذا الفكر الجديد الوافد؟

محاولة الأجوبة على تساؤلات النشوء الإخواني بسوريا

لاشك أن هذه الورقة لن تتمكن من الإضاءة على كل الأسئلة التي طرحت أعلاه، والتي نأمل أن يكون طرحها محفزاً للبحث والغوص بها لدى الباحثين المهتمين بالإسلام السياسي، لأنها تشكل من الأهمية بمكان أنها تساعدنا على فهم أكثر لطبيعة هذه الحركات وعملها، كما أن من شأن المقارنة بينها وبين لحظات اليوم عبر دراسة المدة الطويلة في علم التاريخ ومقارنة الأديان ودراسة ذلك على ضوء التحولات السياسية والفكرية والاقتصادية؛ أن تعطينا فكرة أوضح عن هذه الحركات وتحولاتها ودورها في التاريخ، بما يساعدنا على فهمها اليوم بطريقة أفضل.

ولكي نفهم كل ما سبق، لا بد أن يكون لدينا رؤية ما؛ أو نظرة للسياق العام الذي كان سائداً في بلاد الشام (لم تكن تأسست سورية بعد، فهي رسمياً وعلى الورق تأسست عام ١٩٢٠ ونالت استقلالها عام ١٩٤٦) لحظة انهيار الإمبراطورية العثمانية ودخول الفرنسيين إلى دمشق؛ وما أحدثته كل تلك التحولات في بيئة ظلت محكومة بالتقاليد العثمانية لوقت طويل.

الحراك الإسلامي قبيل ولادة جماعة الإخوان المسلمين

طيلة الحكم العثماني، كانت الصوفية وضمنياً الفرق الإسلامية والطوائف والملل والنحل هي الأحزاب السياسية لفترة هذا الزمن، حيث إن نظام الإمبراطورية القائم على فكرة الخلافة يستمد شرعيته السياسية عملياً من الإسلام الذي شكل الإيديولوجية الرسمية للإمبراطورية. ولما كان الإسلام بالنسبة للإمبراطورية هو الإسلام السني تحديداً، فقد كانت كل الفرق والإسلامات الأخرى تشكل ضمنياً تهديداً للسلطة!

لذا تم التعامل معها بحزم دائم، وهو ما جعل أغلب حركات التمرد طيلة الحكم العثماني تخرج من هذه البيئات غير السُنية، دون أن يعني أنه لم يكن هناك تمرد ضمن التيار الإسلامي السني، بل دائماً كان هناك محاولة للتمرد عبر مزاحمة العثمانيين على احتكار الإسلام، والذي طالما هو كان مسار تنازع أيضاً بينهم والفرس، لأنه يشكل إيديولوجية السلطة، وهو التنافس الذي نراه الآن يعود بأشكال مختلفة، تبدأ من التنافس الإيديولوجي عبر فكرة «تصدير الثورة» التي قدمتها ولاية الفقيه الإيرانية، والعثمانية الجديدة التي يقدمها حزب العدالة والتنمية التركي، والاثنان يستمدان قوتهما من الدين في محاولة لتطويعه في خدمة مشاريعها القومية القديمة/ الحديثة، ولعل تنافسها اليوم على احتكار القضية الفلسطينية أو الربيع العربي يمثل أحد تجليات هذا الصراع.

في نهاية العهد العثماني، كانت الحركات الصوفية هي الأكثر شيوعاً، والتي يمكن اعتبارها، وفق رأي الباحث عبد الله حنا، أحد تعبيرات أو تمظهرات السياسية في تلك المرحلة، لذا عملت السلطات العثمانية على احتوائها دائما لتمثل امتدادات لشرعيتها أو محاربتها حين تجد فيها خطراً عليها.

ولكن بفعل ولادة الرأسمالية وانتشار الأفكار البرجوازية والليبرالية في العالم بما صاحبها مع نقلة نوعية في طبيعة الاقتصاد عبر الانتقال من الاقتصاد الزراعي إلى الاقتصاد الصناعي (المانيفكتورا) وانتصار الثورة الفرنسية والأميركية والإنكليزية وما صدرته في العالم من أفكار جديدة تلقفتها النخب

في العالم العثماني، بدأ يظهر تحت تأثير كل ذلك، من خلال تيارات وأفكار جديدة، عبرت عن نفسها أولاً في رغبتها بالإصلاح، وهو ما يمكن أن نلاحظه بوضوح في كم الحركات والجمعيات والأحزاب التي تشكلت في تلك الفكرة، وتمحور قسم كبير من أفكارها وحراكها حول إصلاح الإمبراطورية العثمانية، أو الانفصال عنها لاحقاً، لتبدأ مرحلة جديدة، حيث هنا بالذات بدأت أولى البذور أو الجذور أو الأفكار الأولى التي قد تكون ساعدت في ولادة الإخوان المسلمين لاحقاً.

فمن هذا المخاض المشبع بإرادة التغيير والمستقبل؛ بدأت النخب تتحرك وتفكر بالإصلاح والتغيير، والذي هو الآخر وليد التحولات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي عصفت بالعالم والإمبراطورية العثمانية؛ التي كانت سورية الحالية مجرد ولاية من ولاياتها آنذاك.

والآن سنحاول أن نتلمس بعض المحددات التي أدت إلى ولادة أو ساعدت في تحفيز البذور الأولى التي ولد منها لاحقا تنظيم الإخوان المسلمين السوري.

السلفية (النهضوية) والمدرسة الدينية التقليدية ودورهما في إرهاصات الولادة الإخوانية

ضمن السياق السابق الذي تحدثنا عنه، وإلى جانب الحراك القومي والتنويري والجمعياتي الذي نشأ في بدايات القرن الماضي، ظهرت أصوات سلفية تستمد رؤيتها للتغيير والإصلاح من الدين ذاته، فكما أراد القوميون إحياء واستعادة «شخصية الأمة» من التاريخ؛ لتشريع وتأصيل وتبيئة فكرة القومية عربياً؛ سعياً لتحقيق التغيير الذي ينشدون بالانفصال عن العثمانيين وتكوين الدولة العربية الواحدة، أراد التيار الإسلامي فعل الشيء نفسه عبر ما سُمي بالسلفية النهضوية، التي تعني العودة إلى الأصول وهو سلاح ذو حدين كما سنرى.

ولا نريد هنا الخوض في معاني السلفية وتعدداتها وتأريخيتها، لأن هذا يحتاج بحثاً ليس هنا مقامه، ولكن ما نريد التأكيد عليه أن لحظات نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين؛ شهدت ولادة نوعين من السلفية، تلك التي يمكن أن ندعوها السلفية النهضوية التي مثلها عبد الرزاق البيطار وجمال الدين القاسمي والشيخ طاهر الجزائري وصلاح الدين القاسمي ومحمد عبده والأفغاني والكواكبي ومحمد رشيد رضا في قسم من كتاباته، وقد دعا هؤلاء إلى إعادة فتح باب الاجتهاد في الإسلام والتأكيد على أنه لم يغلق، الأمر الذي وضع قسم كبير منهم في صدام مع السلطات العثمانية التي حاكمت ولاحقت قسماً كبيراً منهم، ولعل ما يعرف بمحاكمة المجتهدين في دمشق عام ١٨٩٦، وهما الشيخان عبد الرزاق البيطار وجمال الدين القاسمي، الذين أخذوا يجتمعون على قراءة الحديث ويطلبون الدليل على أقوال الفقهاء».[1]

وكان للعائلات الدينية وعلماء دمشق دور في ولادة الأفكار والتحريض ضد العثمانيين، وكذلك الدور الذي لعبته في سياق تلقف الأفكار الحديثة، حيث يعتبر القاسمي أنموذجاً للمواءمة بين الإسلام والعروبة التي طالما دعا لها، إلى درجة أن الباحث عبد الله حنا، يرى أن دستور ١٩٥٠ الذي تطالب قوى المعارضة السورية اليوم في القرن الواحد والعشرين باعتباره منطلقاً لسورية الجديدة بعد الاستبداد،

١ ظافر جمال الدين القاسمي: جمال الدين القاسمي وعصره، مكتبة أطلس. ١٩٦٥ ص:٤٨.

تعود جذوره إلى أفكار القاسمي، حيث كتب حنا قائلاً: «ويمكن القول إن دستور ١٩٥٠ الذي توافقت على وضعه الأحزاب بتياراتها المختلفة: التيار الليبرالي العروبي (حزب الشعب، ممثلا بعبد الوهاب حومد) وتيار الإسلام السياسي الإخوان المسلمين (مصطفي السباعي)، والتيار القومي العربي ممثلا بحزب البعث (جلال السيد) والعربي الاشتراكي «أكرم الحوراني» تعود جذوره الي الأفكار التي حملها صلاح الدين لقاسمي».[٢]

ولكن إلى جانب هذا التيار ومناهضاً له بالوقت نفسه، ظهر أيضاً التيار الديني التقليدي الذي دعا للمحافظة على الإسلام كما يفهمه، رافضاً فتح باب الاجتهاد، ومعارض التخلص مما يسميه أنصار التيار الإصلاحي الطقوس والعادات التي ألصقت بهذا الإسلام وهي ليست منه بشيء، وفي كثير من الأحيان كان أنصار هذا التيار مقربين من السلطة العثمانية أمثال الصيادي والكوثري، وقد تراجع دور هذا التيار مؤقتاً بعد انهيار الإمبراطورية العثمانية ومجيء الحداثة، وهو الأمر الذي أعاد ثنائية ضد/ مع إلى الواجهة مرة أخرى، ولكن هذه المرة من باب أخر.

الخلاف الديني على الخلافة العثمانية!

شكل الخلاف على الخلافة العثمانية والبقاء داخل الإمبراطورية العثمانية أو الانفصال عنها، نقطة استقطاب جديدة داخل طيف علماء دمشق والشام من جهة؛ ونخبها العلمانية من جهة أخرى، حيث كان لكل منهم موقعه الذي تحكمه أفكاره والطبقة التي ينتمي إليها، إذ إلى جانب الأفكار والسعي للتغيير هناك عوامل أخرى لعبت دوراً بارزاً، منها العائلات الإقطاعية وملاك الأراضي والعائلات الدينية التي ارتبطت مصلحتها ببقاء العثماني.

في حين أن المتضررين كان لهم موقف مضاد، إضافة إلى الذين انتقلوا من الولاء إلى المعارضة بعد أن بدأ المشروع العثماني في عهد جمال باشا السفاح بتطبيق سياسة تتريك واسعة النطاق، انعكس أثارها سياسياً واقتصادياً واجتماعياً على العائلات والنخب التي كانت لا تزال تدافع عن البقاء ضمن الإمبراطورية العثمانية، وهو السجال الذي انتهى عملياً بعد دخول قوات الشريف حسين دمشق بقيادة الملك فيصل، لتبدأ مرحلة جديدة، لكن ليس دون أن تترك أثارها وثمارها في أفكار النخب وفي الواقع الذي بدأ يستعد لمرحلة جديدة، فبقيت بها تلك الأفكار، المحافظ منها والتنويري كذلك، بانتظار لحظة مناسبة لن تتأخر كثيرا.

لكنّ ضعفت أفكار الجامعة الإسلامية بين الحربين العالميتين، وتراجعت أمام أفكار القومية والحداثة والليبرالية والاجتماعية الصاعدة، بل اضطر أصحاب الأفكار الإسلامية في تلك الفترة إلى مجاراة هؤلاء في البحث عن صيغ تجعل من الإسلام اشتراكياً أو ليبرالياً أو متماهياً مع القومية العربية، وذلك وفق ما تقتضي مصالحهم ورؤاهم.

ومن هنا ستكون التيارات والفئات التي تضررت من سقوط الخلافة ومن الاحتلال الفرنسي، ونادت لاحقاً بالجامعة الإسلامية، شكلت اللبنات الأولى التي تشكل منها تيار الإخوان المسلمين لاحقاً.

---

٢ عبد الله حنا: صفحات من تاريخ الأحزاب السياسية في سورية القرن العشرين وأجواؤها الاجتماعية. ص:٦٥.

الاستعمار الفرنسي وظهور الإسلاموية

ثمة مسألة قلما يشار لها في الدراسات وهي البعد الديني للمستعمر، ونعني أن العثمانيين مسلمون؛ والفرنسيين مسيحيون، ساهم هذا الأمر في توليد الأفكار التي ولدت سابقاً بشحنة جديدة لم يعبر عنها بوضوح خلال السنوات الأولى لرحيل العثمانيين، ولكنها بدأت تطل بخجل ومن تحت أحجبة كثيرة ومتعددة، بعد أن بدأ الفرنسيون يفرضون سلطتهم و«حداثتهم» على الضد من مجتمع تقليدي ونخب ساعية للتحرر.

وتحت ذريعة محاربة الاستعمار الفرنسي، كانت تكمن مسألة رفض البعد المسيحي للمستعمر الفرنسي؛ الذي أججت سياسته التي حاربت بوضوح المكون السني في دمشق باعتباره حاملاً لمشروع القومية العربية، وتقربت من الأقليات، وعملت على تقسيم سورية بوضوح إلى دويلات طائفية بهدف كسر التيار الإسلامي العروبي الواسع في دمشق وسورياً عموماً، وهو الأمر الذي ولّد حركة مضادة، دفعت المسلمين للتمسك بإسلامهم والعروبيين للتمسك بعروبتهم، فكانت سياسات الفرنسيين محرّضة ضمناً للبعد الديني لديهم، خاصة وهم ويرون أن أحد مكونات هويتهم مهدد، إضافة إلى أن العائلات الدينية والإقطاعية وجدت نفسها مهددة اقتصاديا مع سياسات الفرنسيين الأمر الذي عزز البعد الديني اجتماعيا وسياسيا، حيث بدأ هؤلاء يتحركون للدفاع عن مصالحهم وهويتهم وأموالهم. ومن هنا ساهمت السياسة الفرنسية في زرع بداية الأفكار التي تخلط بين العلمانية والأقليات والاستعمار.

صراع العلمانية والقومية والدين ودوره في الولادة الإخوانية

محاباة المستعمر الفرنسي للمكونات غير السنية، التي انحازت للعلمانية؛ ومحاربته لتيار القومية العربية والمكون السني الحامل لها، أحدثت ضمن هذا السياق ردّات فعل مفهومة جداً، حيث بدأ الربط بين العلمانية والمستعمر وسياساته في أذهان العامة، وهو الأمر الذي تلقفه الممتعضون والمتضررون من سياسة المستعمر الفرنسي، التي تحدثنا عنها أعلاه ليحولوه إلى إيديولوجية لهم، إيديولوجية ربطت بين العروبة والإسلام والوحدة بمواجهة العلمانية ومشاريع التقسيم، دون أن تكون بالضرورة صحيحة، لكنها تمثلت، بفعل سياسات المستعمر ومصالح المتضررين، في أذهان هؤلاء على ذاك الشكل.

فوُلِدَت أولى ــ نتيجة لما سبق ــ بذور الممانعة الضدية للمشروع العلماني لدى فئات واسعة من التيارات الفقيرة والمستضعفة، خاصة أن الدين تحول مرة أخرى إلى مشروع قابل للاستخدام في العملية السياسية، مع وضد، فهذا التنافس على الدين ساهم في ولادة تيارات وجمعيات تتخذ من الدين عنصر مقاومة ضد المستعمر من جهة، وضد من يرون أنهم يخربون الدين ويعادونه من جهة أخرى، فولدت الجمعيات والفرق الدينية التي أخذت على مهمتها «إحياء الجامعة الإسلامية» ومقاومة السياسة الفرنسية و«حداثتها» الساعية لمواجهة القومية العربية لصالح محاباة المكونات الأخرى.

لكنه بقيت ضعيفة في مرحلة الحربين العالمتين، حيث كان التيار الليبرالي العربي في صعود وكذلك الأفكار القومية والعروبية والحداثية النهضوية التي حملتها البرجوازية الصاعدة، التي حملت مشروع

الحداثة من جهة والتحرر من الاستعمار من جهة، وكونها ذات جذور إسلامية بطبيعتها لم تتمكن التيارات السلفية التقليدية من مجاراتها، خاصة أن التيار السلفي النهضوي كان جزءاً منها، حيث «استطاعت البرجوازية في البلدان العربية (سورية ومصر والعراق)؛ التي تزعمت قيادة الحركة الوطنية؛ استخدام الشعور الديني الإسلامي لتأجيج النضال ضد المستعمرين الأوروبيين وتوجيه هذا الشعور وجهة وطنية، أي إن شَكَلَ الشعور الديني وجوهره العام؛ كان وطنياً معادياً للاستعمار.

عرقل ذلك نشاط أنصار الجامعة الإسلامية على النمط العثماني، وقلص من نفوذهم بين الجماهير المؤمنة. ومع هذا، أخذت بذور الجامعة الإسلامية تظهر في مصر منذ أواخر عشرينات القرن العشرين، وفي سورية في أواسط ثلاثينات القرن العشرين، متمثلة في حركة الاخوان المسلمين»[3]

ولادة الإخوان المسلمون في سوريا

تحدثنا سابقاً عن الدور الذي لعبته السلفية النهضوية في مواجهة التخلف والجهل والاستبداد العثماني، ورأينا كيف حاول هذا التيار من خلال رموزه عبد الرحمن الكواكبي والأفغاني ومحمد عبده والقاسمي والجزائري محاولة لعب دورهم النهضوي في مواجهة المستبد من جهة، وفي محاولة تقديم بدائل تؤكد على أن الإسلام ليس معادياً للحداثة، وليس السبب في تخلف المسلمين.

وقد لعبت هذه النخب النهضوية دوراً بارزاً في تأصيل حوار إسلامي/ علماني (فرح أنطون ومحمد عبده) كما دخلت في منافسة ضمنية مع التيارات اليسارية والليبرالية والقومية من جهة أخرى في محاولة إثبات وجودها، إضافة إلى أن الجميع كان يحارب على جبهة تأصيل الأفكار التي ينادي بها، ومواجهة الغرب بخططه الاستعمارية وأساطيله القادمة إلى المنطقة.

هنا وضمن هذا السياق كانت مجلة المنار للشيخ محمد رشيد رضا الطرابلسي الشامي، التي لعبت دوراً بارزاً في تلك الفترة، يمكن اعتبارها أحد أبرز المؤثرات التي شكلت وعي الجمهور والنخب في تلك الفترة، وقد بدأ رشيد رضا سلفياً نهضوياً، لكنه انتهى سلفيا محافظاً (ومعه مجلة المنار أيضاً) لأسباب ليس محلها هذه الورقة.

من هذه السلفية المحافظة ومن سلفية الوهابية استمد مؤسس حركة الإخوان المصرية، حسن البنا أفكاره التي تأثر بها ضمنياً مؤسس حركة الإخوان السورية، مصطفى السباعي، الحمصي السوري الذي درس في مصر، لكن مصطفى السباعي المشبع بالفكر السلفي النهضوي، والبيئة الشامية المتعددة الطوائف والقوميات والأديان، استطاع بناء الحركة السورية على أرضية السلفية النهضوية، وهو الأمر الذي مكنه لاحقاً؛ من أن يزاوج بكل سهولة ويسر بين الاشتراكية والإسلام في كتابه «اشتراكية الإسلام»، وأن يكون شريكاً في ولادة دستور ١٩٥٠ في سورية، وأن يكون من وجد الحل لمسألة دين رئيس الدولة في الدستور، حين قدم حلاً وسطاً بين التيارات المتشددة من الطرفين الإسلاموي والعلماني.

---

٣ عبد الله حنا: صفحات من تاريخ الأحزاب السياسية في سورية القرن العشرين وأجواؤها الاجتماعية. ص: ١٦٣/١٦٤

الآباء المؤسسون للفكر الإخواني بسوريا

بعد انتقال أفكار الجامعة الإسلامية من مصر إلى سورية عن طريق الطلاب الذين درسوا في مصر وبلدان أخرى، أسس هؤلاء العائدون وغيرهم جمعيات ومنتديات ومراكز شبابية لنشاطاتهم ولقاءاتهم، بعضها ذو طابع إسلامي واضح؛ وبعضها تحت ستار أنشطة شبابية ذات خلفية إسلامية، مثل دار الأرقم في حلب عام ١٩٣٥ التي أسسها عمر بهاء الأميري وعبد القادر الحسيني، وتأسست جمعية الشبان المسلمين في دمشق على يد محمد المبارك وبشير العوف، وجمعية الرابطة في حمص؛ وكان سكرتيرها مصطفى السباعي، وجمعية الإخوان المسلمين في حماة عام ١٩٣٧ وكان مؤسسها محمد الحامد.

هؤلاء كلهم وغيرهم كان لهم اسم جامع هو «شباب محمد»؟ وقد عقد هؤلاء مؤتمرهم الأول والثاني والثالث والرابع تحت اسم شباب محمد لكن في الخامس عام ١٩٤٥؛ تقرر استبدال اسم «شباب محمد» إلى اسم جماعة الإخوان المسلمين، وتم انتخاب لجنة مركزية، اختارت مصطفى السباعي أميناً عاماً لها، حيث خاضت انتخابات عام ١٩٤٧ ونجح بعض منهم؛ كالأستاذ محمد المبارك، وخاضت الجماعة انتخابات عام ١٩٤٩ تحت اسم «الجبهة الإسلامية الاشتراكية» وفازت بعشرة أعضاء، حيث رفعت شعار الدفاع عن حقوق الفلاحين إنما دون الدخول في مواجهة مباشرة مع كبار ملاك الأراضي، لأن هذه الطبقة كانت تشكل الماء الذي يسبح فيه الشباب الإخوان، وهو ما يعطينا فكرة واضحة عن البيئة والجذور التي ولدت حركة الإخوان المسلمين. ولتبيان هذه النقطة، نريد أن نركز بوضوح على شخصيتين من الشخصيات الأوائل للإخوان، وهما مصطفى السباعي ومحمد المبارك.

ولد السباعي لعائلة حمصية تتولى الخطابة في الجامع الكبير، تأثر بمجلة الفتح التي كان يديرها الشيخ السلفي النهضوي محب الدين الخطيب، الذي لعب دوراً بارزاً في تلك الفترة أيضاً، وتخرج من المدرسة الشرعية في حمص عام ١٩٣٠ وكان قريباً من الرابطة الدينية التي أسسها بعض العلماء، ثم ذهب للدراسة في الأزهر بمصر، وهناك استطاع التأثير بحسن البنا وأفكاره بعد أن تعرف عليه.

أما الرجل الثاني فهو محمد المبارك الذي ولد في دمشق، وكان جده من علماء اللغة، أما والده فهو الشيخ عبد القادر مبارك، وبعد دراسة الثانوية يمم شطره نحو السوربون لدراسة علم الاجتماع ثم عاد إلى حلب ودمشق.

إن تأمل ما سبق يوضح لنا البيئة التي خرج منها مؤسسو جماعة الإخوان المسلمين السوريين والبيئة التي تأثروا بها، فهم ولدوا وراثياً في مناخات بيئة المدارس الشرعية وعلماء الدين والمشايخ؛ التي كانت أكثر حساسية وتأثراً من غيرها من الفئات حول سقوط الخلافة، والتي كانت الأكثر استفادة من قربها من العثمانيين وإدارة الشؤون المالية للمؤسسات والدوائر الإسلامية، فيما ولِدَت بشكل عام داخل السياق الذي حكم انهيار الإمبراطورية العالمية ومناخ ما بين الحربين بكل ما حمل من عواصف سياسية وفكرية وإيديولوجية على سورية، وهو ما دفع عبد الله حنا للقول: « تأتي حركة الإخوان المسلمين في سورية في منزلة بين منزلتي السلفية المغرقة في محافظتها والسلفية النهضوية، معبرة في ذلك عن واقع الأجواء الشامية المتصفة بالتنوع الطائفي والمذهبي والإثني».

ومن هذا الشق المحافظ داخلها؛ ستولد لاحقاً تيارات العنف الجهادي الذي عرف باسم الطليعة المقاتلة، ولكنه وأيضاً، كان بسبب تغير السياق المحيط كلياً. ولهذا حديث أخر.

المراجع:

- محمد فرزات حرب، الحياة الحزبية في سورية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- عبد الله حنا، المركز العربي، الطبعة الأولى ٢٠٠٨صفحات من تاريخ الأحزاب السياسية في سورية القرن العشرين وأجواؤها الاجتماعية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- محمد جمال باروت، يثرب الجديدة: الحركات الإسلامية الراهنة، دار الريس.
- الموقع الرسمي للإخوان المسلمين في سورية.
- ظافر جمال الدين القاسمي، جمال الدين القاسمي وعصره، مكتبة أطلس.

MENA RESEARCH CENTER

مركز أبحاث ودراسات مينا